

المرحلة الأولى  
المدخل إلى علم الحديث

أ. أحمد السيد

تلخيص : أبو عبيدة

طالب البناء المنهجي ( الدفعة الثالثة )



( بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ  
مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ )

محمد رسول الله ﷺ

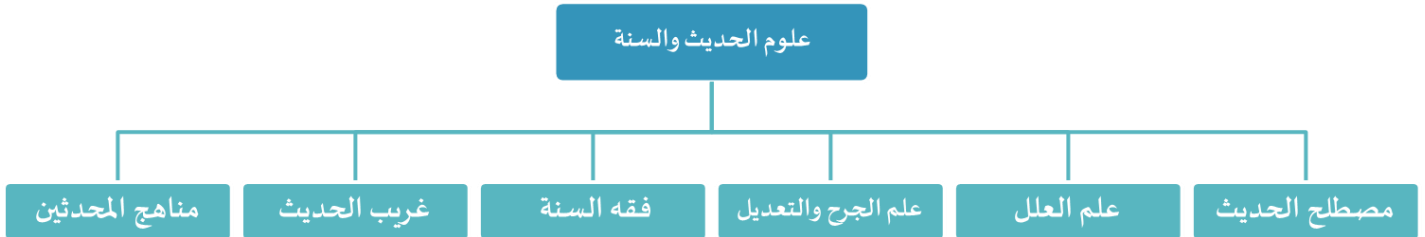
## تعريف بالمحاضرة ومحاورها

- حديثنا عن علوم الحديث والسنة معاً ، بعضها يعود إلى **المتن** ( النص النبوي ) ، وبعضها يعود إلى **السند** .
- العلم الذي يدرس المتن على فئتين ، الأول يدرس معنى المتن ، الثاني ما يدرس أحكام متعلقة بالمتن .
- **محاوَر المحاضرة :**

١. ما هي علوم الحديث والسنة؟
٢. ما أهمية علوم الحديث والسنة؟
٣. كيف نشأت علوم الحديث والسنة؟
٤. كيف يحكم المحدثون على الحديث بالصحة؟
٥. الشبهات المثارة على علم الحديث
٦. مسيرة التأليف في علم الحديث.
٧. التجديد في علوم الحديث والسنة.
٨. خطة مختصرة لدراسة علوم الحديث.

## أولاً : ما هي علوم الحديث والسنة ؟

- علم الحديث والسنة ينقسم إلى ستة علوم رئيسية :



- ممكن أن ندخل علم "غريب الحديث" مع علم "فقه السنة" وممكن أن نفرجه لكثرة الكتب التي أفردت فيه .
- كل علم من العلوم يندرج تحته مجموعة كثيرة من الفروع .

- ما الفائدة من دراسة علوم الحديث والسنة دراسة تفصيلية ، وقد أكثر السابقون من دراستها والتأليف فيها ؟ وبلغتنا عنهم النتائج جاهزة ؟
  ١. ارتباط علوم الحديث والسنة ارتباطاً وثيقاً بكل فرع من علوم الشريعة الأخرى كالعقيدة ، والفقه ، والسيرة والتفسير . والأحكام ليست كلها محل إجماع ، وليست كلها محل رضا وقبول عند المحققين ، وهناك أحاديث ورجال ورواة مختلف فهم اختلافات واضحة ، فكان لا بد من دراسة القواعد للتعامل مع هذا الخلاف للوصول إلى نتيجة .
  ٢. الاختلاف في مصطلحات علم الحديث ، فقول الترمذي عن الحديث أنه حسن ، لا يطابق مقصد ابن حجر عن الحديث إذا قاله فيه أنه حسن . وكثير من المصطلحات المستخدمة في الحكم على الحديث لا نفهمها إلا إذا درسنا علوم الحديث دراسة جيدة .
  ٣. تفرق مصطلحات المحدثين في الكتب ، فتجد أسانيد كثيرة لا تجد فيها أحكاماً وهي متفرقة في بطون الكتب كالبداية والنهاية ، وتفسير الطبري وتلخيص الطبري ، ومصنّف ابن أبي شيبة وغيرها ، فعدم معرفتك بعلوم الحديث ستنقص لديك قدر من الفائدة
  ٤. زيادة اليقين ، فالإطلاع على الأسانيد كاملة وتتبع روايتها وأحوالهم ومعرفة موثوقيتها ، يحقق لديك يقين تفصيلي ناتج عن معرفة تفصيلية وليس معرفة إجمالية تقتصر على المتن .
  ٥. إحتياج الأمم والثقافات الأخرى لما لدينا من علوم الحديث . فكما يقول أسد رستم وهو نصراني أنه لا منهجية أعلى من منهجية المحدثين المسلمين في توثيق الأخبار التاريخية . فهذا العلم واجب علينا أن نبزّه ونظهره لكل العالم والثقافات .
  ٦. علم الحديث هو البوابة الرئيسية لحماية السنة النبوية ، لأن كثير من الطوائف تردّ السنة وتناقش فيها ، فلا بد أن نتعلمها تعليمياً تفصيلياً للرد على من يشكك في صحتها رداً تفصيلياً ..

## ثالثاً : كيف نشأت علوم الحديث والسنة

أولاً: في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام

- نشأت علوم الحديث والسنة في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وليس بعده . ودليل ذلك أن القرآن الكريم قام بتأسيس قواعد مهمّة استعملها المحدثون في عملهم ، كما قدّم رسول الله لصحابته بعض الإرشادات المهمة التي أصبحت أعمدة في تفصيلات علم الحديث . ومثال ذلك :
  ١. مبدأ التثبيت والتبين : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ) .
  ٢. مبدأ العدالة والشهود : ( وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ ) التأكيد على إمكانية معرفة العدالة التي لولا إمكانيتها لما أمرنا الله باستعمال شهادتهم
  ٣. تغليب الكذب على رسول الله : ( من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ) هذا الحديث أساس في علوم الحديث.
  ٤. الأمر بتبليغ أحاديث رسول الله : ( نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنِّي حَدِيثًا ، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ ) وقوله عليه السلام في حجة الوداع : ( ليبلغ الشاهد منكم الغائب ) ويؤكد قضية البلاغ قوله تعالى : ( وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ) وفي هذه تأسيس لقضية النقل والرواية واستدل بهذا الآية ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل.

ثانياً: في زمن الصحابة رضوان الله عنهم

- كان الصحابة بعد وفاة النبي ينطلقون تجاه الحديث والسنة ضمن مبدئين اثنين :
  ١. مبدأ التحوط والتخوف من الكذب والخطأ
  ٢. مبدأ الحرص على الحديث والنقل والرواية
- مثال على مبدأ الحرص على النقل والرواية قول البخاري في باب الرحلة في طلب العلم : ( ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر في حديث واحد )
- مثال آخر على مبدأ الحرص على النقل والرواية ، لما سأل أبو هريرة رسول الله : ( يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ ) فقبل أن يجيبه الرسول قال له : ( لقد ظننت ألا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . ) وهذا تأكيد من رسول الله على حرص أبو هريرة على نقل الحديث .
- مثال على مبدأ التحوط ، أن عبد الله بن مسعود لما كان يحدث ، كان يقول : ( أو قريباً من ذلك ) ( أو نحواً من ذلك ) .
- في أول وقت الصحابة كان الحرص على قضية القرآن أكثر من قضية السنة ، وذلك لأن القرآن لم يكن قد جمع بعد في مصحف واحد ثابت . وأن القرآن هو النص المتعبد بتلاوته لفظاً ولا يجوز روايته بالمعنى .
- قد يغتر بعض المنكرين والمشككين بالسنة بالنصوص التي وردت في العهد الأول التي تؤكد على قضية العناية بالقرآن وعدم الانشغال عنه . ولكنه ليست القضية كالكةكة تقطعها وتأخذ منها ما تشاء وتترك ما تشاء .

- هل كان هناك كتابة في السنة والحديث في عهد النبي والصحابة الكرام ؟  
نعم كان هناك كتابة ودلالة ذلك :

١. قول أبو هريرة رضي الله عنه : ( لم يكن أحد أكثر حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم مني ، إلا عبد الله بن

عمر و فإنه كان يكتب و كنت لا أكتب )

٢. في خطبة الفتح الفتح ، حين تكلم رسول الله ، قال رجل من اليمن يكنى بأبي شاة : ( يا رسول الله ، اكتبوا لي )  
قاصداً خطبة رسول الله ، فقال النبي عليه السلام : ( اكتبوا لأبي شاة )

- "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه" كتاب للدكتور مصطفى الأعظمي يقع في مجلدين ، هو في أساسه رسالة دكتوراه قدمت قبل خمسين سنة في بريطانيا بالإنجليزية ، الكتاب يتبع الصحف التي كانت موجودة من وقت الرسول إلى مرحلة التدوين العام ، مما يفند القول بأنه لم يكن هناك تدوين في عهد النبي والصحابة الكرام .

ثالثاً : في زمن التابعين الكرام

- في عهد التابعي الجليل والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، كان من أكبر ما فعله وحرص عليه هو جمع السنة النبوية وتدوينها بشكل شمولي واستقصائي . وبدأ بذلك تلميذ أنس بن مالك رضي الله عنه ، الإمام الزهري وجمع قدراً كبيراً من الرواية ومن السنة .
- بعد ذلك سلسلة طويلة من الاهتمام والحرص على تدوين وجمع السنة لا يسعنا ذكرها هنا .
- علم الحديث نشأ استجابة لتحديات نقل السنة ، فكلما زادت الفجوة الزمنية بين نقل السنة وبين النبي عليه السلام ، كلما صارت التحديات أكبر في معرفة الصحيح من الضعيف .
- كان علم الحديث يتفاعل مع التحديات ، وبها تكونت مصطلحات علم الحديث مثل هل الحديث متصل الإسناد أم منقطع أم مرسل ؟ وإذا كان منقطعاً ، هل هو انقطاع صغير أم كبير ؟ طويل أم قصير ؟ وفي الرواية ولدت لنا مصطلحات مثل كذاب ، جيد ، ضعيف ، ثقة ، مأمون ، حسن .
- كلما زادت التحديات وزادت الأمور اشتباكاً ، كلما زادت المصطلحات والاستجابة من جهة المحدثين وكلما احتاجوا إلى تعميق أكثر من الاستجابة للتحديات .

## رابعاً : كيف يحكم المحدثون على الأحاديث بالصحة ؟

- نظرياً نشعر أن القضية سهلة عندما نجيب على السؤال فنقول : أنهم يبحثون عن العدالة والضبط، وينظرون في اتصال الإسناد، والسلامة من الشذوذ والسلامة من العلة. ولكن من الصعب أن نشرح الصورة على حقيقتها .
- كل ما في وسعنا هو أن نعطي بعض الملامح النظرية لآلية الرواية والحكم على الحديث ، ولكن أن ننقل الواقع كما هو ، فهو صعب جداً لأنه ملي بالآلاف الشواهد من الصعب أن تجمعها وتسببها في إطار نظري محدد .
- كلما ازداد الإنسان معرفة تفصيلية بواقع الرواية وكيف تتم بشكل آلي عملي وتفصيلي، كلما استطاع أن يتصور موضوع بشكل أفضل وكلما ازداد إعجاباً وثقة وإيماناً بهذه النتائج المبهرة التي بذلها الأولون في علم الحديث والسنة .
- ليست القضية سهلة وعبثية كما يختزلها ويطرحها بعض منكرو السنة والمشككون بها . أو كما تقدمها بعض الدروس الحديثية في صورة باهتة لعلوم الحديث ومختلة وقصيرة .
- البعض يختزل دراسة علوم الحديث في مدارس متن يحوي بعض المصطلحات الحديثية ، أو شروط الحديث الصحيح أو قواعد الجرح والتعديل وفقط .. فتتكون لدى المتلقي صورة باهتة عن هذا العلم الواسع. وهذه الصورة التفصيلية لعلم الحديث تحتاج زمناً وعمراً من الإهتمام والمعرفة.

### ما قبل الإمام البخاري

- الإمام مالك في المدينة ، وهو ليس شيخاً للبخاري ، لأنه توفي قبل أن يولد البخاري بـ ١٥ - ١٦ سنة .
- وكان يروي الحديث عمّن سمعه مباشرة من الصحابة الكرام ، ومنهم الإمام الزهري وهو شيخ المدينة ومشهود له بالصلاح والتقوى والمعرفة والاجتهاد وكان الإمام الزهري قد سمع من الصحابة مباشرة فيقول : **حدثني أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله يقول : ... تخيل القرب في الرواية !**
- عمرو بن دينار في مكة ، يحدث الأحاديث عن جابر بن عبد الله ، فإذا هي بنفس المتن الذي يحدث به الزهري في المدينة . فيصبح لدينا إسنادان لذات الحديث ، واحداً عن طريق أنس ، والآخر عن طريق جابر .
- الإمام مالك سمع عن الإمام الزهري أو غير من التابعين الكبار مثل الإمام سعيد بن المسيب ، وسعيد بن المسيب هو شيخ الإمام الزهري ، فقد سمع الإمام مالك عن الإمام الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وسعيد سمع من الصحابة كأبي هريرة وأنس وغيره .
- جمع الإمام مالك ما سمعه من الأحاديث في كتابه الموطأ ، فيقول فيه: **حدثني الزهري عن أنس ، أو حدثني نافع عن ابن عمر ، أو حدثني الزهري عن عمرة عن عائشة .**
- ولد البخاري وكتاب الموطأ موجود ، وكان هناك كتب أخرى مثل حماد بن سلمة ، وسعيد بن أبي عروبة ، ابن جرح ، معمر ... الخ

## يتبع : كيف يحكم المحدثون على الأحاديث بالصحة ؟

### نموذج الإمام البخاري في الحكم على الحديث

- ولد الإمام البخاري في نهاية القرن الثاني الهجري وتوفي في منتصف القرن الثالث الهجري في بخارى في أوزبكستان .
- وجد البخاري مشايخاً له قد سمعوا الموطأ من مالك مباشرة ، وغير الموطأ مما لم يكتبه مالك ، مثل : **عبدالله بن مسلمة القعنبي** ، **عبدالله بن يوسف التنيسي** . وهما شيخا الإمام البخاري ، وقد سمعا من مالك .
- نشأ البخاري ابتداء في أوزبكستان وأخذ عن علماء تلك الناحية حتى بلغ السادسة عشر من عمره ، فرحل إلى الحج هو وأخوه وأمه ؛ ولما فرغوا من الحج عاد أخوه أحمد وأمه إلى بخارى وبقي الإمام البخاري في مكة يستمع الحديث من علماء مكة . ثم رحل المدينة يستمع من علماء المدينة ، ثم ترحل بين الشام و بغداد والبصرة والجزيرة ( تشمل جنوب تركيا اليوم )
- كان هناك علماء سبقوا الإمام البخاري في الطلب والجمع ومعرفة الرجال والمقارنة والنظر والسماع ، وصار لديهم الخبرة في تمييز الصحيح من الضعيف مثل : **الإمام أحمد بن حنبل** ، **الإمام يحيى بن معين** ، و**علي بن المديني** . فكانوا هؤلاء الأئمة هم طبقة شيوخ البخاري ، فأخذ عنهم ، أو عن بعضهم ، واكتسب منهم شيئاً من العلوم والخبرة .
- في سن الثمانية عشر ، كتب البخاري كتاباً أسماه ( **التلخيص الكبير** ) ، وهو سجل للرواة الذين روى الحديث ، مثل فلان سمع عن فلان ، ولم يسمع عن فلان ، اتصل بفلان ، ولم يتصل بفلان ، روى الحديث ولكن به علة . وهذا قبل أن يجمع كتابه ( صحيح البخاري )
- هناك شبهة حسابية مثيرة حول جهود الإمام البخاري ، وهي قسمة ما جمعه الإمام البخاري خلال ( ١٦ ) سنة على ما مجموع ما رواه من أحاديث ( ٦٠٠ ألف ) حديث ، فتجد أنه جمع حديثاً كل ربع ساعة . يظن البعض أن القضية بهذه السخافة والمهزلة ، ولم يدروا أن البخاري في كتابه التلخيص الكبير قبل البخاري جمع فيه كل الراوة . وهم يبنون نظريتهم الرياضية بناء على خبر لو يتوثقوا من صحته أساساً !
- الإمام البخاري استعمل القوانين الحديثية التوثيقية التي كانت موجودة قبله ولم يؤسسها هو . ولم يبتكر الروايات من عنده بل اختار أفضل الموجود مما سمعه ، ورحل وسمع عن أفضل الراوة وسمع منهم مباشرة ، واستعمل حسه النقدي الخاص بعد القواعد التوثيقية المعروفة ، ثم يستخير الله في وضع الحديث في كتابه وبعد أن يفرغ من ذلك يعدل ويضيف ويصحح .
- سمع صحيح البخاري عن البخاري مباشرة تسعون ألف شخص . حيث كان السماع هو الوسيلة التوثيقية عند المحدثين .

## يتبع : كيف يحكم المحدثون على الأحاديث بالصحة ؟

- كان بإمكان الإمام البخاري أن يرجع إلى موطأ مالك ويقرأ كل الأحاديث فيه وينقلها ، ولكنها فضّل السفر إلى مكة والمدينة وبغداد والجزيرة والشام من أجل أن يحقق الطريقة الوثائقية للمحدثين وهي السماع . حيث أن السماع أوثق من الكتابة إذ قد يدخل الخطأ في الكتابة أثناء النسخ .
- البعض يطعن بصحيح البخاري لعدم وجود نسخة مكتوبة بخط الكاتب ، وهو يغفل أنّ المحدثين إذا وجدوا كتاباً مكتوباً ولم يحدث بها أو يجز بها المؤلف أحداً من بعده فإنهم يطعنون بها ويسمونه **وجادة** !
- مثال على الوجادة ، هناك واحد اسمه **مخرمة بن بكير** ، توفي أبوه وترك صحفاً في داره مكتوباً فيها ، حدثني فلان وحدثني فلان عن فلان عن رسول الله ، ولكن طعن فيها البخاري ولم يجزها ، لأن أبوه لم يجز لابنه أن يرويها ولم يجز بها أحداً آخر فهي عند البخاري **وجادة** وليست معتبرة .
- القرآن نُقل بالتواتر ، الذي تواتر هو السماع ، فمن يلغي السماع يلغي القرآن . فلم يكن في عهد النبي أي مصحف مكتوب ، بل كانت مصاحف متفرقة ، ولما جاء أبو بكر جمعها من الناس .
- لم يكتفِ المحدثون بالسماع ، بل كانوا يدونون أيضاً ، ولكن لا كفاية للتدوين بدون السماع . والسماع عندما يكون من ثقة عند المحدثون أوثق من الكتابة .
- علم الحديث قائم في الأساس على عملية المقارنة من أجل التوثيق والتضعيف ، و للحكم على الحديث والوصول إذا ما كان الراوي ثقة أم لا .
- مثلاً الزهري ، له خمسة أو ستة رواة يروون عنه ، لازموه لسنوات طويلة ، وعرف عنهم الإتقان والضبط ، من المفترض أنهم رَوَوْا عنه كل أحاديثه .. فإذا أتى أحد غيرهم وروى حديث عن الزهري ولم يؤثر عن رواته الخمسة الأثبت ، فهنا تعمل حساسية المحدثين . ويقوم المحدثون بمقارنة ما رواه الراوي إن كان يتطابق مع أحد الرواة الأثبت ، فبقدر ما يتطابق ويشتركه في الرواية أحد الخمسة الثابتين كلما حكم على الحديث بالثقة ، وبقدر الاختلاف بقدر ما حكم على الحديث بالنقص .
- انتشرت رواية الحديث انتشاراً كبيراً . حتى لا يكاد هناك حديث يتفرد إلا قليلاً ، فصار **التفرد مظنة الرد** ، ولذلك يضعفون المحدثون أحاديث الغرائب التي لم يروها إلا رواد واحد ، وكلما وقع التوافق بين الغرائب وبين غيرها من الثقة كلما زاد معيار قبولها .
- يقول أبو داود عن كتابه "سنن أبو داود" في رسالة إلى أهل مكة : ( **أحاديثي التي في الكتاب مشاهير و الفخر بها أنها مشاهير** ) . أي مشاهير وليست غرائب ، فالمشاهير تعطي فرصة أكبر للمقارنة .
- قال الإمام علي بن المديني : ( **الحديث إذا لم تُجمع طرقه لم يتبين خطؤه** )
- كيف نعرف الخطأ ؟ أنت تسمع ، تختبر بعد السماع ، تقارن روايتك بروايات غيرك ، ينظر في حالك بشكل عام ، إن كنت صالحاً مستقيماً في ظاهر أمرك ، فهذا يعني أنك عدل ، ولكن كونك عدلاً لا يكفي لاستقبال روايتك لمجرد السماع ، فلا بد من الاختبار المباشر .



## يتبع : كيف يحكم المحدثون على الأحاديث بالصحة ؟

- مثال على الاختبار :  
في سلسلة الرواة حمّاد بن سلمة يروي عن ثابت بن أسلم البُناني يروي تلة عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أنس أو أحد الصحابة ، وتلة يروي ثابت عن أنس مباشرة .  
ثابت البناني إمام مشهور وعدل ، ولكن ذلك لم يمنع تلميذه حمّاد بن سلمة أن يختبر شيخه ، فقد لازمه ملازمة طويلة وسمع عنه وحفظ . فجاء مرة يختبر شيخه فقال : **حدثكم عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ،** فيرد عليه شيخه ثابت فيقول : **إنما حدثني أنس .** فيقول حمّاد يسأله عن رواية أخرى : **حدثكم أنس بن مالك ،** فيقول ثابت : **إنما حدثني عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب .**
- مثال لطيف على الاختبار :  
رأى الإمام الكبير يحيى بن معين أن يختبر المحدث أبو نُعيم اختبراً دقيقاً في حفظه ، فكان في المجلس يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ومعهما ثالث في مجلس أبي نُعيم . فقام الإمام يحيى بن معين يسأله مجموعة أسئلة فتنبه أبا نُعيم إلى أنه يختبره فقام فرفسه ، وقال أما فلان -ثالثهم- فأقل من أن يصنع ذلك ، وأما أحمد فهو أروع من أن يصنع ذلك ، وإنما هذه فعلتك يا ابن معين .
- لو أخطأ الراوي في الاختبار فإن المختبر سيقول : **لقد اختبرت فلاناً في كذا وكذا فأخطأ .** ويسمونها في الاصطلاح **الحديثي لقنه فتلقن . أي لقنه الخطأ .**

## خامساً : الشبهات المثارة على علوم الحديث

- الشبهات المثارة على حجية السنة أعم من الشبهات المثارة حول علوم الحديث .
- الشبهات المثارة حول علوم الحديث هي ضمن ما يثار من شبهات حول حجية السنة .
- الكتب المؤلفة في الرد على الشبهات المثارة على حجية السنة من غير بوابة علم الحديث كثيرة.
- الكتب المؤلفة في الرد على الشبهات المثارة على حجية السنة من طريق علم الحديث قليلة.
- يزعم الدكتور جاسم سلطان في كتابه ( التراث وإشكالياته الكبرى ) أن الأحاديث التي صححها البخاري هي ثلاثة آلاف حديث من أصل ٦٠٠ ألف حديث جمعها . وغفل هو عن الحقائق :
- ماورد في كتاب ( علوم الحديث لابن صلاح ) أن البخاري ومسلم لم يستوعبا الصحيح كله ولا أرادا ذلك .
- أن عنوان صحيح البخاري هو ( الجامع المسند الصحيح المختصر ) ، أي أكد الإمام البخاري أن الكتاب مختصر ولم يدرج به كل ما جمعه .
- أن تلميذ البخاري وهو الإمام الترمذي في كتابه ( العلل الكبير ) ينقل عن شيخه البخاري أحاديثاً صححها البخاري وهي ليست في صحيحه .

### الشبهة الأولى : المحدثون لم يعتنوا بنقد المتن

- يقول المشككون أن علوم الحديث اعتنت فقط بنقد الأسانيد ولم تعتن بنقد المتن ،
- غفل هؤلاء المشككون أن نقد المتن التي يرونها الراوي هي الوسيلة الثالثة بعد المقارنة والاختبار للحكم على الراوي بأنه ثقة أو ليس بثقة . فالمتن ينقد ويدرس ويعرض على أصول الشريعة ، فإن كان في المتن ما يعرضها فهذا يعود على الراوي بالضعف . مثال ذلك :-
- ١. سأل أبو حاتم الرازي وهو من أئمة الجرح والتعديل والعلل عن راو اسمه أحمد بن إبراهيم الحلبي فقال : ( لا أعرفه وأحاديثه باطلة موضوعة كلها ليس لها أصول ، ويدل حديثه على أنه كذاب ) فهو لا يعرفه ، ولكن حكم عليه بالكذب من المتن التي يرونها .
- ٢. قول ابن معين عن روح بن عباد : ( ليس فيه بأس ، صديق حديثه يدل على صدقه ) وفي هذا نقد للمتن .
- ٣. سئل ابن القيم سؤالاً واضحاً يدل على نقد المحدثون للمتن : هل يمكن أن يُحكم على أحاديث بأنها موضوعة دون النظر إلى أسانيدھا؟ قال : نعم . وكتب في ذلك كتاباً للإجابة الشافية على هذا السؤال أسماه ( المنار المنيف )
- ٤. كتاب عنوانه ( اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين ) يؤكد فيه المؤلف على أن المحدثين كانوا ينقلون الحديث سنداً ومتناً .
- ٥. رسالة مختصرة للدكتور خالد الدريس عنوانها ( نقد المتن في توثيق الرواة وتضعيفهم ) تدحض هذه الشبهة .

الشبهة الثانية : شبهة التأثير بالسياسة

- يؤثر البعض شبهة أن علوم الحديث وما فيها من توثيق وتضعيف تأثرت بالأحداث السياسية التي مرت بها الدولة الإسلامية . فكلما جاء عصر جديد من الحكام والأمراء اخترع المحدثون أحاديث تناسب الظروف السياسية وما يطلبه الحاكم من كذب وتزوير .
- مثال ذلك القول أن **الزهري** وضع أحاديث لعبد الملك بن مروان في فضل المسجد الأقصى ، حتى يحول اهتمام الناس عن الكعبة التي كان فيها عبد الله بن الزبير المعرض لحكم بني أمية .
- بعد البحث والتحري تظهر الحقيقة أن الزهري لم يتصل بعبد الملك بن مروان إلا بعد وفاة عبد الله بن الزبير بعدة سنوات . فلم يعد هناك حاجة لإختراع الأحاديث حول الأقصى .
- كتاب ( المحدثون والسياسة ) للدكتور **إبراهيم العجلان** جمع فيه نماذج كثيرة لبعض الشبهات المثارة حول علاقة السياسية بالحديث . ويقول أنه تتبع الأحاديث التي يقال أنا صيغت بسبب أحداث سياسية فوجدها **٤١ حديث من أصل آلاف الأحاديث** التي صححها البخاري ! فهي نسبة ضئيلة جداً .
- الشبهات المثارة إن وضعناها على ميزان النقد التفصيلي الموضوعي المبني على العلم بالأحداث ، فهي لا تساوي شيئاً .
- يوجد رسالة للدكتور **سلطان العميري** عنوانها ( التفسير السياسي للقضايا العقيدية في الفكر العربي )
- من الكتب النافعة ( الحداثة وموقفها من السنة ) فقد جمع قرأ لا بأس به من أقوال الحداثيين تجاه السنة . مثل نظرية التأويل وبعض الأطروحات الفلسفية التي استخدمها الحداثيون مثل البنيوية والتفكيكية .
- ومن الكتب النافعة ( الاتجاه العلماني المعاصر في السنة النبوية ) وكتاب ( الاتجاه العقلي في علوم الحديث )
- سبق وذكرنا معارضتنا على تسمية الاتجاه المخالف بالاتجاه العقلي ، فالعقل ليس ذنباً ولا جريمة وتهمة ، الجريمة أن تطرح الشريعة وكأنها مجرد نقولات تعرض العقل فنقوم نحن ونقدم النقل على العقل التي تتعرض معه – كما يزعمون -
- لم تطالبنا الشريعة أن نكره العقل على الإيمان بما يضاد العقول ، وإنما تأمرنا أن نؤمن بعلم الله الذي هو أوسع من كل علم ، وبعلم رسول الله الذي يؤخذ عن طريق الوحي فيأتي بالعلوم مما لا ندرکه نحن ويفوق علمنا وشيء لا نظير له في مشاهدتنا وعلمنا . فلا يصح وقتها أن ننفيه ونعرضه بحجة أنه معرض للعقل .
- كثير من الإشكالات التي يذكرها الحداثيون سخيفة جداً تكون بعضها مبنية على عدم اطلاع وعدم معرفة ، فقط تحتاج إلى قليل من الدراسة التفصيلية لعلوم الحديث لدحضها والرد عليها .
- قرأوا وجدنا في هذا الزمن ، الحمل علينا ثقيل ، النوم والكسل ليس ممّا ينبغي علينا في هذا الزمان ، يجب أن نتعب كما تعب الأولون في التبليغ ، واجب علينا أن نتعب في الإثبات والمدافعة؛ لأنها من الواجبات المقررة علينا في هذا الزمن .

### ما الدافع لطرح هذه الشبهات لمثارة على علوم الحديث

- وجود الإنهزام داخل النفس أمام الآخر ، أمام غير المسلمين وأمام الثقافة الغالبة هي من أهم ما يولد هذه الإشكالات والشبهات.
- المنهزم سيظل دائماً يبحث عن الإشكالات ويكون ضعيفاً أمامها . وكلما انحلت أمامه شبهة يبحث عن أخرى .
- المصلح تماماً كالأسير العزيز في سجنه ، مقهور ومسلوب القوة لكنه يعلم أنه ليس ضعيفاً وأنه لم يستسلم ، لأنه يثق أن لديه منظومة كاملة تدل على أن الدين الذي ينطلق منه دين صحيح . ولا ينظر إلى تزيخ منظومته وتراثه وعلومه بانهزام ، وإذا نقدها ينقدها بعلم لا بانهزام وخجل . وإن آمن بها صرح بها دون خجل حتى لو كانت لا تناسب الثقافة الموجودة اليوم .
- في المقابل ماذا قدم الغرب سوى نهضة علمية خالية من القيم والأخلاق والمبادئ! لا معنى لأن تنهض علمياً ثم بهذه النهضة العلمية تدمر ستين مدينة وتقتل آلاف والملايين من البشر ، نهضة علمية لا أخلاق لا قيمة لها.
- قوانيننا الدينية الإسلامية إن كانت لا تناسب الثقافة المعاصرة ، ليس لعيب فيها ، وإنما لعيب في الثقافة الغالبة .
- القضية المركزية لدينا في الإسلام هي تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى ، كل الأحكام تدور في فلك تحقيق هذه المركزية ، إذا لم تقتنع بهذه القضية المركزية فإنك ستبقى غير مقتنع بكل تفاصيل الشريعة وستبقى تائهاً في شبك الشبهات .
- ما دمت محملاً باستعلاات من ثقافات أخرى ، فإنك لن تستطيع أن تقتنع بأحكام الإسلام إلا بقصص أجنحة الشريعة . حتى تصل إلى قصص الإسلام كله .
- نحن لدينا مصادر شرعية صحيحة ، ولدينا اجتهادات علماء غير معصومين ، فيها الصحيح وفيها الخاطئ ، لا نأخذها بالتسليم التام ، بل ننقدنا نقداً علمياً لأنها جهد بشري وأوضح مثال على ذلك نقدنا لكتاب البخاري الذي يُعد بعد كتاب الله أكثر الكتب إجماعاً واتفاقاً بين المسلمين . هذا النقد يزيد من قيمة ما نملك من علوم .
- الإمام **الدارقطني** اختلف مع **البخاري** في بعض القضايا ، ثم جاء من بعدهم وحاكموا بين الاثنين ، ووجدوا أن أغلب ما انتقد فيه البخاري كان الصواب ما قاله البخاري.

- نسرد هنا محطات في تأليف علوم الحديث ونقد الراويات والأحاديث، وليس عن محطات جمع السنة والأحاديث النبوية .
- أول من ألف في علم أصول الحديث هو **الرامهرمزي** في كتابه ( المحدث الفاصل بين الراوي والواعي )

### المحطة الأولى : العصر الذهبي في علم الحديث ( القرن الثالث للهجرة )

- تحديداً من منتصف القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الثالث الهجري ( ١٥٠ هـ إلى ٢٨٠ هـ )
- تتسم كتب هذا العصر **بالباطع التطبيقي** . فلا تجد في هذه الكتب تقسيماً واضحاً إلى أبواب ، أو أنواع . وإنما سرد تطبيقي لمجموعة مسائل في علوم الحديث غير مصنفة إلى أبواب .
- مثال ذلك : كتاب ( **التمييز** ) للإمام **مسلم** ، يتكلم فيه عن بعض القواعد النظرية في علوم الحديث ، مثلاً الزيادة في الخبر عند أحد الرواة عن غيره من الرواة يقول فيه : ( **هذه الزيادة لا تلزم إلا من الحفاظ** ) ويتحدث فيه عن المرسل إذا كان فيه انقطاع أيقبل أم يرد . ويأتي بنماذج أخطأ فيها الإمام مالك ، أو الإمام الزهري ، منطلقاً من قاعدة ( لا يوجد راوٍ مهما كانت ثقته إلا ويخطئ ) وهذا مما يزيد قيمة الرواية .
- ألف كتب تسمى ( **كتب المسائل** ) مثل كتاب ( **مسائل أبي داود** ) للإمام **أحمد** . تحوي أسئلة وإجاباتها في الحديث وعلومه من من الكاتب لأحد الأئمة ..
- كتب المسائل لا يقرؤها إلا المتخصصون ، لأنه لا أحد يستفيد منها غيرهم وهي تكون في مراحل متقدمة من دراسة الحديث .

### المحطة الثانية : محطة الخطيب البغدادي

- عندما جاء **الخطيب البغدادي** كانت علوم الحديث قد اكتملت واستوت ، فأخذ **يصنف تصنيفات جزئية** .
- أثرى **الخطيب البغدادي** علوم الحديث بكثرة المصنفات كما قال **ابن حجر** : ( **وقلَّ علم من علوم الحديث إلا وألف فيه** )
- كان **البغدادي** يأخذ نوع من أنواع الأحاديث اسمه ( **المرج** ) يصنف فيه مصنفاً ، ثم يؤخذ ( **المؤتلف والمختلف** ) ويصنف فيها مصنفاً وهكذا .
- من أهم ما كتبه **الخطيب البغدادي** كتابه ( **الكفاية** )
- توفي **الخطيب البغدادي** في ٤٦٣ هـ

### المحطة الثالثة: أبو عمرو بن الصلاح

- جاء الإمام أبو عمرو بن الصلاح في سنة ٦٤٣ هـ .
- ذكر ابن الصلاح في كتابه خمسة وستين نوعاً من أنواع الحديث ، بعد أن قام بمسح الواقع الحديثي واستخرج منها هذه الأنواع من الأحاديث . مثل الصحيح والحسن والمضطرب والمنكر والشاذ ، فخرج بذلك ب خمسة وستين علماً من علوم الحديث منها أيضاً علم آداب المحدث ، علم طالب الحديث ، علم مختلف الحديث .
- كتاب الإمام أبو عمرو بن الصلاح كان مثل قطب الرحي من كثرة العلماء الكبار الذين اهتموا به ، فقد استفاد من كتب الخطيب البغدادي ورتبها وأضاف عليها .
- من الأمثلة على اهتمام العلماء بكتاب الإمام أبو عمرو بن صلاح :
  ١. الإمام ابن كثير ، اختصر الكتاب فأسماه ( اختصار علوم الحديث ) ثم جاء أحمد شاكر شارحاً لكتاب ابن كثير المختصر فأسماه ( الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث )
  ٢. الإمام النووي ، اختصر الكتاب فأسماه ( التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في اصول الحديث ) ، ثم جاء الإمام السيوطي شارحاً مختصر النووي فأسماه ( تدريب الراوي شرح تقريب النووي )
  ٣. الإمام ابن حجر ، كتب حاشية على كتاب ابن الصلاح وأسماه ( النكت على كتاب ابن الصلاح )
  ٤. الإمام العراقي ، شيخ ابن حجر ، جاء ووضع حاشية على الكتاب وألف منظومة أبيات في ألف وثلاثة بيت أسمائها ( ألفية العراقي )
  ٥. الإمام ابن دقيق العيد ، من الفقهاء الشافعيين الكبار ، اختصر الكتاب فأسماه ( الاقتراح في بيان الإصطلاح )
  ٦. الإمام الذهبي ، اختصر كتاب الاقتراح لابن دقيق ، في كتاب أسماه ( الموقظة في مصطلح الحديث )
  ٧. الإمام شمس الدين السخاوي ، جاء وشرح ألفية العراقي ، في كتاب من خمسة مجلدات أسماه ( فتح المغيبي شرح ألفية الحديث )
  ٨. الإمام الزركشي ، كتب حاشية على كتاب ابن الصلاح

### المحطة الرابعة : الإمام ابن رجب

- جاء الإمام ابن رجب وأخذ يشرح كتب المسائل للمتقدمين ، منها كتاب العلل الصغير للإمام الترمذي . شرحه ابن رجب في كتاب أسماه ( شرح علل الترمذي ) وهو مهم جداً في علوم الحديث .

### المحطة المعاصرة

- ألقت كتب كثيرة في علوم الحديث ، وأثريت المكتبات بكثير من الكتب في علوم الحديث . منها رسائل جامعية في جزيئات من علم الحديث .
- من الكتب المعاصرة المهمة والمفيدة ، كتاب الدكتور عبدالله الدعيج المسمى ( تحرير علوم الحديث )

من صور التجديد المطلوب

- من صور التجديد المطلوب ، إضافة مبحث تثبتي بعنوان ( البراهين المثبتة لقيمة وصحة علم الحديث ) ، ونحن في علوم الحديث أحوج إليه في غيره لكثرة الشبهات المثيرة حوله .
- الاستدلال المعهود لدينا هو استدلال على حجية السنة ، ونحن بحاجة لمن يستخلص استدلال على صحة هذه الحجية .
- من صور التجديد المطلوب ، عدم الإكتفاء بالدراسة النظرية لعلم الحديث التي تتدارس المصطلحات والقواعد النظرية ، بل لا بد من علم تطبيقي لا نظري .
- مثال على الدراسة التطبيقية لعلم الحديث وكيفية التعامل مع الحديث لتصحيحه أو تضعيفه على حديث واحد وهو : ( من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه )

١. استخراج الإسناد الحقيقي

- أ. تذهب إلى كتب ( تخرىج الحديث ) ففيها تجد سرد لكل كتاب من جوامع الأحاديث ذكر فيها هذا الحديث مثل الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرها .
- ب. تذهب إلى الكتب التي علمت أن الحديث موجود بها ، فتجد الحديث بأسانيد ، فتجمع الطرق كلها وتحصرها .
- ت. استخراج المدار الذي تدور عليه هذه الأسانيد ، وأنظر في مدى الاتفاق والاختلاف على هذا المدار ، وبناء عليه تصل إلى الإسناد الحقيقي للحديث .

٢. الدراسة الظاهرية للحديث ( ثقة ، ضعيف ، متصل ، غير متصل )

- أ. بعد الوصول إلى الإسناد الحقيقي ، أبدأ بدراسة الروايات جلاً جلاً ، أذهب إلى كتب الجرح والتعديل ، وأستخرج ما قيل في رجال الحديث وإن كان متفق عليهم أو مختلف فيهم . فإن كان مختلف فيهم تبحث في قواعد الجمع أو قواعد الترجيح بين الأقوال المختلف فيها . حتى تصل إلى نتيجة لكل راوٍ ، هل هو ثقة أم ضعيف .
- ب. تنظر في اتصال الإسناد ، فقد يكون الحديث متصلاً ظاهراً ، أو منقطعاً ظاهراً ، فترتاح . وقد يكون لا متصلاً ظاهراً ولا منقطعاً ظاهراً فتذهب حينها إلى كتب مختصة مثل كتاب ( التلخيص الكبير ) للبخاري تستخرج منها أهو متصل أم منقطع .

٣. الدراسة التفصيلية لعلل الحديث

- أ. إذا كان الحديث فرداً ، أنظر في هذا التفرد إن كان مقبولاً ، وذلك من خلال ثلاثة قرائن :
  - قرائن في الإسناد ، فمثلاً إذا كان الإسناد المتفرد ذهبي ، فهنا علة ، لأن الأسانيد الذهبية يفترض أن تكون مشاعة ويحرص الكل على روايتها ، لا أن يتفرد بها الراوي .
  - قرائن في المتن ، فإن كان متن الحديث في الأحكام المؤسسة ، فالتفرد هنا فيه مشكلة .
  - قرائن في الراوي الذي تفرد ، فإن كان من الحفاظ الكبار ، تهون قضية الإسناد الذهبي وقضية المتن الذي في الأحكام . فإن لم يكن من الحفاظ الكبار ، فلا .

أقوم بالملوأة بين هذه القرائن الثلاثة ، للحكم على هذا التفرد إن كان منكر ، أم ليس منكر .

## يتبع : التجديد في علم الحديث

ب. إذا كان الحديث ليس فرداً ، وإنما فيه طرق متعددة ، فخمسة رَوَاهُ متصلاً ، وثلاثة رَوَاهُ منقطعاً ، فهل هو متصل أم منقطع ؟ فلا بد أن نبحث على من هو الأعلَمُ بالشيخ ؟ من الأثبت من الرواة ؟ حتى نرجح أحد الطرفين.

- هكذا نكون قد حكمنا على الحديث ، إن كان صحيحاً أو ضعيفاً .
- قد تستغرق منك هذه الآلية في تخريج حديث واحد إلى بضعة أيام أو أكثر ، على حسب علة الحديث وقوتها وضعفها ، ومع الممارسة قد تخرج الحديث في أقل من يوم أو في ربع ساعة.
- إذا وجدت تصحيحاً للحديث عند أحد الأئمة المعترين في علوم الحديث ، فهو يختصر عليك الكثير
- تخريج الحديث عبارة عن رحلة كاملة ، كل محطة من الرحلة فيها جزئيات وتفصيلات لا يمكن اختزالها ولا التعامل معها بعبثية .

## ثامناً : خطة منهجية مختصرة للدراسة علوم الحديث

- ممكن أن نقسم دراسة علم الحديث إلى أربعة مراحل :
- المرحلة الأولى : المتون الأولى ، ندرس متناً أو متنين ، مع شروح مختصرة لها مثل :

١. متن ( البيقونية )

٢. متن ( نخبة الفكر )

### المرحلة الثانية : الشروح المتوسطة

١. متن ( نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لمطالع أهل الأثر ) لابن حجر مع شرحه

٢. شرح ( الموقظة في علم الحديث )

### المرحلة الثالثة : الكتب المركزية

١. ( مقدمة ابن صلاح )

٢. ( شرح الترمذي ) لابن رجب ، وهو أفضلها بالنسبة لي شخصياً

٣. ( تحرير علوم الحديث ) للجديع ، وهو أسهلها .

### المرحلة الرابعة : كتب المتقدمين

١. ( التمييز ) للإمام مسلم

٢. ( العلل الصغير ) للإمام الترمذي

٣. ( رسالة أبي داود لأهل مكة )

٤. ( مقدمة صحيح مسلم )

### ومن الكتب التطبيقية :

٥. العلل لابن أبي حاتم

٦. العلل للدارقطني

٧. العلل الكبير للترمذي



## يتبع : خطة منهجية مختصرة للدراسة علوم الحديث

- المرحلة الأولى والثانية ، تكون الدراسة فيها بالتلقي وليس بالقراءة . وإن لم تكن على يد متخصص ، فأقلها عبر المواقع الإلكترونية .
- في المرحلة الثالثة ، قد تقرأ الكتب الثلاثة ، أو تقرأ بعضها وتكررها جيداً عدة مرات .
- في الكتب التطبيقية في المرحلة الرابعة ، تأخذ كتب الحديث المتقدمة بشروحها وتمارسها تطبيقياً
- المرحلة الرابعة ، هي مرحلة المتخصصين ، قد لا تصل إليها ، ولا ينبغي أن يصل إليها إلا متخصص في الحديث . أما العادي الذي لا يريد التخصص في الحديث ، فعليه بأول مرحلتين ويستحسن الثالثة ولو بشيء بسيط .

---

ما ورد في هذه الصفحات من علم أوفهم، فهو بفضل الله ثم بفضل  
المحاضر الفاضل. وما ورد من زلل في الفهم أو النقل أو التدوين فهو  
من نفسي ثم من الشيطان.

---

تنويه |